



الجرد الوطني للتراث الثقافي الأمازيغي

بطاقة جرد عنصر رقم 7/018

1- تحديد العنصر

- الاسم العنصر

تقطير الزهور

- أسماء أخرى متداولة في المجتمع المحلي

التقطير

- الإطار الجغرافي لانتشار العنصر



يشكل تقطير النباتات ذات الرائحة العطرة بطريقة تقليدية تقليدا شائعا بجهة صفاقس لدى عدد من العائلات، كما أنّ عادة التقطير دارجة في عدد من مدن البلاد التونسية على مثال نابل وبنزرت والقيروان.

- مجال أو مجالات انتماء العنصر

المهارات المرتبطة بالحرف التقليديّة.

2- وصف العنصر

- الوصف التفصيلي

التقطير هو عملية تحويل بعض النباتات العطرية عبر تبخيرها إلى سائل. وتدوم هذه العملية طيلة فصل الربيع من شهر مارس إلى أواخر شهر ماي.

- تقطير ماء الورد: تنطلق عملية التقطير بالحصول على المادة الأولية المتوفرة في الجنان (تنتج صفاقس الورد في بساتينها ومنه "الورد العربي" وهو كثير الشوك وطيب الرائحة يشذب في الشتاء ليزهر في الربيع) أو شرائها صباحا قبل طلوع الشمس من باب الجبلي ثم تأتي مرحلة تجميع الورد يليه ضرورة وزنه ولاحقا تقسيمه إلى مجموعة من الكيلوغرامات (عادة بأربعة كيلوغرام).

يخلط الورد مع ماء البئر أو ماء الحنفية بمقدار (10كلغ وورد/20 لتر ماء ويمكن التنقيص من كمية الماء للحصول على ماء ورد قوي). يوضع هذا الخليط في إناء يسمى (القطار) وكان هذا الإناء في بداية أمره من الفخار ثم صنع من النحاس ثم صار من الألمنيوم. وبعد إحكام إغلاق (القطار) يوضع فوق موقد من الحطب المجفف ثم يوصل غطاء القطار بأنبوب موصول بقارورة التي ستستقبل قطرات الماء المستخرج. وعند الغليان يخرج البخار ليتبع الأنبوب الذي يوضع في إناء مملوء بالماء البارد ويعاد ملؤه كلما ارتفعت حرارته ويتحول البخار المنساب في الأنبوب إلى قطرات تسقط في قارورة بلورية تسمى "فاشكة" وهي دائرية الشكل وذات عنق طويل و تنفرد بانتفاخ أسفلها وتثبت على سلة من البلاستيك أو من السمار الذي تصنع منه الحصائر وتتفنن النساء في تزويقها و تزيينها بعناية فائقة ودقة متناهية إذ تصنع لها أغلفة مطرزة بخيوط الفضة اللامعة.

وعلى إثر امتلاء كل قارورة يحكم إغلاقها بغطاء من الخفاف توضع أسفله خرقة من القماش لضمان حيوية ماء الورد المستخرج ومحافظة على رائحته العطرة ولكي لا تسقط بعض البقايا من الخفاف التي من شأنها أن تعكر لون ماء الورد. وبنفس الطريقة يتم تقطير مختلف أنواع النباتات العطرية.

- العناصر المادية واللامادية المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

تحتاج ممارسة تقطير الورد توفر المواد الأولية الطبيعية من النباتات العطرية ووجود الماء والحطب والموقد وأواني التقطير وهي "القطار" والأنابيب النحاسية والقوارير البلورية. وتقتضي ممارسة التقطير معرفة بأنواع الزهور ومهارة في كيفية تقطيرها وإمام بأساليب تخزينها للحفاظ عليها، أما عن الفضاء المبني فإنه لا يهم باعتبار انتظام جل النشاط في محيط البرج بالجنان حيث الهواء الطلق.

- الممارسات العرفية التي تنظم أو تمنع الوصول إلى العنصر

لا توجد ممارسات أو إجراءات من هذا القبيل.

- كيفية التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنأشئة

إن عملية التقطير وتحديد المقادير و مدة الطبخ وكيفية تبريد الأواني نشاط يتوارثه النسوة عن أمهاتهن أو جدّاتهن. وتحتفظ كل أسرة بأواني التقطير التي يعاد تركيبها وغسلها وتلميعها في بداية شهر مارس من كلّ سنة. وتشتهر عدد من العائلات بمدينة صفاقس في ممارسة التقطير وإن اختلفت درجة الإتقان وكثافة النشاط.

ويتوجّب لدى بعض العائلات التي عرفت بممارسة عادة تقطير النباتات العطرية إدخال "القطار" مع جهاز العروس.

وتحرص العائلات التي تتوارث معارف تقطير النباتات العطرية على تعليم بناتها وأبنائها هذه المهارات وإذا كانت العائلة لا تتقن هذا النشاط، فإنها بالإمكان أن تعلّم بناتها عبر شبكة العلاقات الاجتماعية التقليدية المبنية على القرابة أو المجاورة الجغرافية.

و بقيت هذه القنوات التقليدية تستأثر بالنصيب الأوفر في مجال التعليم والتدريب في ظل غياب قنوات جديدة مرتبطة بالهيكل الرسمية للدولة.

3- الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

يعتبر تقطير النباتات العطرية من التقاليد الراسخة والمعارف المنتشرة لدى عدد من أفراد العائلات بمدينة صفاقس (المزيو، السلامي، الفخاخ، السيالة) وهي من أقدم العائلات التي توارثت مهارة تقطير الزهور وبقي أفراد منهم يباشرون عملية التقطير بمختلف مراحلها. وانتشرت معارف التقطير وأصبحت دارجة على نطاق واسع.

- مشاركون آخرون

نظرا إلى الطبيعة المنزلية لتقطير الورد، فإن أفراد العائلة يساهمون بشكل أو بآخر في هذا النشاط، سيما الأطفال وبعض النسوة وعادة ما تختلف طبيعة المساهمة وحجمها حسب وضعية كل عائلة من حيث الالتزامات المهنية والدراسية لأعضائها. وتختص النسوة والأطفال بجمع النباتات العطرية وبياشر النسوة عادة أعمال التقطير أما الرجال فتوكل إليهم مهام البيع في سوق العطارين الموجود في الجناح الشرقي لسوق الربع ومما يسترعي الانتباه تزايد حضور العنصر الرجالي اليوم في عملية التقطير وهو أمر كان نادرا في الماضي.

- منظمات غير حكومية/ المجتمع المدني

- جمعية "مجيدة بوليلة للحدادة".

- جمعية جنان صفاقس.

- هيئات رسمية

- المندوبية الجهوية للثقافة بصفاقس وفندق الحدادين.

- بلدية صفاقس.

4- مدى قابلية العنصر للاستمرار: العراقيل والتحديات

تواصل هذا النشاط بفضل توفر النباتات العطرية بالجنان والمعرفة بأساليب التقطير وتنالى عبر الأجيال وأصبح أمرا حيويًا في اشتغال بعض الأسر إلى حدود خمسينات القرن العشرين. وتعتمد بعض العائلات إلى إعداد المؤونة من ماء بعض النباتات (خاصة من ماء الورد وماء الزهر والعطرشبية) الذي يستعمل في صنع الحلويات والعطور وللتداوي من ضربة الشمس والألام المعوية كما توظف بعض الأصناف من المياه كأقنعة للبشرة لغاية التجميل. ويشهد العنصر روجا كبيرا في السنوات الأخيرة بفضل دخوله في تحضير الكثير من المشروبات السكرية وتداول استعماله في الحلويات والصناعات الطبية، لكن ذلك لا ينفى أنه يواجه عراقيل وتحديات لعل أهمها المشاكل الناجمة عن التسويق العشوائي لمياه النباتات العطرية. وتمارس حاليا غالبية النسوة عملية تقطير النباتات العطرية في نطاق العائلة بأواني حديثة "كوكوت" مما يهدد بتراجع استعمال الأدوات التقليدية.

كما تشير إلى إدخال مواد كيميائية في تركيبة المياه المقطرة لضمان حفظها وتواصل رائحتها العطرة.

5- برامج التثمين وإجراءات الصّون

- تمّ خلال منتصف الستينيات من القرن العشرين اقتناء قطّار وأنابيب نحاسية وفاشكة بلورية وعرضها بطريقة تقليدية في متحف "دار الجلولي".
- اهتمت جمعية "مجيدة بوليلة للحدّاث" بموضوع النباتات العطرية من خلال إحداث مهرجان الياسمين وتخصيص مائدة مستديرة عنوانها "الياسمين تراثنا وراثنا" وكان محور تقطير العطورات من بين أهم أنشطتها.
- كما يعمل المجتمع المدني على تثمين هذا العنصر من خلال برمجة تظاهرات ثقافية لاطلاع الناشئة على الطريقة التقليدية لتقطير النباتات العطرية مثلما تقوم به "جمعية جنان صفاقس" التي تنظم رحلات أسبوعية إلى الجنان يعاين خلالها الأطفال أعمال تقطير بعض النباتات العطرية .

6- التوثيق الفوتوغرافي للعنصر





7 - هوية الشخص المرجعية المعتمدة في استيقاء البيانات

اتخذت مقابلة الجرد شكل المحادثة الودية المفتوحة في إطار عائلة ضمت جيلين: الاب (محسن) وابنه حافظ :

- السيد محسن بن محمد السيالة: 1925/06/4، من بين أقدم الحرفيين في صفاقس، وهو ذاكرة تطور العنصر منذ ما يناهز على الخمسين عاما. ويعتبر من أول المنتجين الذين عرضوا منتوجهم للبيع بعدما كان يصنع للاستخدام المنزلي فحسب/ العنوان: طريق تنيوركلم 4 صفاقس، الهاتف: 74220338

- السيد حافظ السيالة: مولود في 1958/11/9، يتقن عمل تقطير الورد. الهاتف: 25856401

- السيد سمير المزيو: أحد الحرفيين في تقطير الزهور. الهاتف: 98413485

8 - المصادر والمراجع

- المكتوبة

- تفيد متابعة المياه العطرة في الرصيد التاريخي ذكره لدى "النويري" الذي تحدّث عن ماء الجوزين وماء الورد: النويري (شهاب الدين)، نهاية الإرب في فنون الأدب، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ج12، ص 123.

- وأشار "غوبار" إلى النباتات المستعملة في التقطير والتقنيات الموظفة للغرض وتحدث عن أصولها وأفاد بأنها من المهارات المنزلية المشهورة باسم العائلة والجهة :

- Gobert(E), Parfum et tatouage, Paris, Larose, 1949(réédité dans la collection des introuvables, dirigée par Yassine Essid, Tunis, 2003, et par Mohamed, Karrou Edition Sahar, 2003.

- زيات (الحبيب)، الورد وماء الورد في دمشق، في مجلة المشرق، السنة 46، ج1، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، 1952.

- الزواري(علي)، صفاقس، سلسلة مدن العالم العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، 1980.

- الزواري(علي) الشرفي (يوسف) معجم الكلمات والتقاليد الشعبية بصفاقس، سوجيك، صفاقس. 1998.

- العامري (سنيّا)، العادات الغذائية وفنون الحفظ والطبخ بجهة بنزرت، بحث لنيل شهادة الدراسات المعمّقة في التراث، تحت إشراف منيرة الرمادي شابتو، تونس، ديسمبر 2003.

- البقلوطي (الناصر)، حلويات المصمودي بين العادة والريادة، طباعة فانزي، تونس 2007.

- السمعية البصرية

- شريط توثيقي بقناة القلم حول تقطير الزهور بصفاقس للمخرج "عبد القادر الجربي"

- مقاطع توثيقية أثناء جرد العنصر

- المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصة

توجد بعض الأدوات الخاصة بالعنصر موجودة في متحف "دار الجلولي" على غرار "القطار" و"الفاشكة". كما تعرض بالمتحف صورة فتوغرافية تعطي فكرة عن كيفية بيع الورد التقليدي.

9- معطيات تقنية حول عملية الجرد

- تاريخ البحث الميداني ومكانه

مارس 2017 بصفاقس

- جامع أوجامعو المادّة الميدانيّة

- سهام القلال بن عمر، ملحق بحوث بالمعهد الوطني للتراث.
- فاطمة بن عمر، ناشطة في المجتمع المدني بالغرفة الفتية العالمية.

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

مارس 2017

- محرّر بطاقة الجرد

سهام القلال بن عمر.